



العاصفة مجلة

المجلد الرابع، ٢٠١٢ م

ISSN : 840-2277-9914



قسم العربية، كلية الجامعة
ثرونتبرم - ٦٩٥٠٣٤، كيرالا، الهند

السيد إسماعيل شهاب الدين فوكويا الملباري ودوره في فن التفسير

عبد الله كويا تنغل و. ت.

باحث، جامعة كالكوت، كيرالا، الهند

لما كان القرآن الكريم مصدر الرشد والهداية للبشرية جمعاء، ومنبع أحكام الشريعة الإسلامية، وكان علم التفسير أشرف العلوم وأفضلها على الإطلاق. لقد اعتنى بتفسير القرآن كبار العلماء في كل عصر ومصر، وألفوا كتباً شرحوا فيها آياته ومدلولاتها، وبيّنوا فيها ما تحتمل عليه من الأحكام والمسائل في العقائد والعبادات. فظهرت التفاسير بمختلف أحجامها وأنواعها واتجاهاتها عبر العصور، حتى فاضت بها المكتبة الإسلامية وزخرت. ومن التفاسير التي ظهرت في العصر الحديث تفسير السيد إسماعيل شهاب الدين فوكويا الملباري المتوفى سنة ٢٠١٠م.

أنجبت ولاية كيرالا رجالاً نادرة وشخصيات فذة. نرى في كيرالا عدداً كبيراً من الأدباء والشعراء والعلماء والعباقرة والكتاب والمؤلفين والمحدثين والفقهاء والدارسين والباحثين والمحققين والمثقفين والمصلحين والمفكرين والصحفيين الذين قدموا مساهمات ملموسة لا يستهان بقيمتها. فمن هؤلاء أعلام اللغة العربية والعلوم الإسلامية السيد إسماعيل شهاب الدين فوكويا الذي قضى حياة جادة في إكتساب العلوم وتدريسها وتصنيف الكتب. كان السيد إسماعيل شهاب الدين فوكويا عالماً متضلعا في معظم العلوم الدينية مثل تفسير القرآن، والتاريخ الإسلامي، والفقه، والعقائد، والمنطق، والتصوف. وكان يكتب في المجالات والدوريات المختلفة (١). وأعد المنهج الدراسي في المستويات المختلفة سواء كان مدرسة ابتدائية أو ثانوية أو عالية أو كلية إسلامية (٢). وله فيه نظريات إيجابية حديثة التي تسير مع العصر، ويعتني عناية مهمة لتربية الأبناء على ضوء الكتاب والسنة. وهذه المساهمات خطوة جديدة في هذا المجال من علماء الدين في الهند عامة، وفي كيرالا خاصة.

السيد إسماعيل شهاب الدين فوكويا الملباري

ولد السيد إسماعيل شهاب الدين فوكويا سنة ١٩٣٦م بقرية تالانكارا، ونشأ في أديابورام بمقاطعة كاسركوت (٣)، في أسرة عريقة بالعلم والتقوى إبناً للسيد حسين كنج كويا تنغل والسيدة فاطمة كنج بيفي، وتلقى العلوم الابتدائية من أبيه. وكان أخوه المرحوم السيد يو. كي. آتاكويا تنغل العالم الفلكي الجليل قاضياً في كانجانغاد (٤). وقد تعلم من العلماء مثل العالم المشهور الذائع الصيت في الأفق شمس العلماء إي. ك. أبوبكر مسليار (٥)، والسيد عبد الرحمن البخاري (٦)، وعبد الرحمن مسليار قاضي كاسركوت والمعروف بكوتي مسليار (٧). ثم ارتحل إلى دار العلوم ديوبند للدراسات العليا سنة ١٩٥٧. وبلغ الأطوار في العلوم العربية والأردية، وكان له رغبة عارمة في جمع العلوم منذ صغره، ولم

١ مجلة تذكارية نشرت جمعية نبراس الطلبة التابعة لجامعة الزهراء

٢ يدرس في جامعة الزهراء منهج الدراسية و الكتب التي أعدها السيد بنفسه

٣ مقاطعة من مقاطعات ولاية كيرالا، الهند

٤ أخوه السيد يو كي آتاكويا تنغل قاضياً في كاسركوت وكان عالماً فلكياً. وكان ماهراً في توقيت الصلاة وتعيين القبلة لبناء المسجد

٥ أمين العالم لجمعية العلماء لعموم كيرالا سابقاً

٦ رئيس لجمعية العلماء لعموم كيرالا سابقاً

٧ كان عالماً كبيراً وكان عميد كلية باقيات الصالحات، ويلور، تملناد- سابقاً

ينس هذه المهمة في حله وترحاله، وكان متضلعا في علم التفسير والفقه والعقيدة وعلم النحو والأدب والبلاغة. وقد رسخت اللغة العربية في ذهنه تعبيرا وتحريرا، وواظب في جمع العلوم حتى صار عالما موسوعيا. وصار مدرسا في شتى المساجد والمعاهد بمختلف الأماكن المليبارية مثل فاركدو، وبيولي، وإيلاتور، وأوماجابوزا. ثم أسس كلية إسلامية في أمتور في مقاطعة كاليكوت للجمع بين تعليم العلوم الدينية والعلوم المادية، وعين أستاذا فيها. وبعد خدمته في الكلية وضع الحجر الأساسي لكلية الزهراء الإسلامية للعلوم والآداب التي اشتهرت بعد بالجامعة الزهراء^(١). كان ذا حظ وافر في الذكاء والنبوغ وصاحب نصيب كثير في العلم والأدب، لم يكتف بخدماته التعليمية في دروس المساجد فحسب، ولكن بذل نفسه في مجال التصنيف والتأليف، وشد منزره لهذا الميدان، حتى ازدهرت المكتبة الإسلامية بكتبه العديدة، وانتاجاته العلمية القيمة مثل "المراقبة" في عقيدة المسلم و"المنطق" في شرح التهذيب، و"أدب المسلم" في منهج الإسلام، و"صفوة الكلام" في عقيدة الإسلام، و"النبراس" في مسلك الفقه الشافعي، و"المدارج" في تقرير الغاية والتقريب، وكل هذه التأليفات تتميز بأسلوبه الراجح وعباراته المتينة وألفاظه المترادفة وسليقته الأنيقة، ومن أشهرها وأجلها كتابه في فن التفسير "كتاب على هامش التفاسير".

على هامش التفاسير

هذا الكتاب من أروع أعمال السيد إسماعيل شهاب الدين وأعزرها مادة، وقد سماه "على هامش التفاسير: تعليقات على تفسير الجلالين" كمل هذه الخدمة الجليلة بجهوده المتواصلة في تسع سنوات من ١٩٩٨ الى ٢٠٠٧ م، في سبعة مجلدات ضخمة، معتمدا على التفاسير القديمة والجديدة من تفسير جامع البيان في تأويل آيات القرآن للطبري إلى تفسير الجواهر للشيخ الطنطاوي، ومقتبسا من سائر الكتب العصرية مثل "في ظلال القرآن" للسيد قطب، ومستخدما الوسائل الحديثة مثل إنترنت وما إليها، يحتوي هذا الكتاب على أكثر من ٤٠٠٠ صفحة، طبعها جمعية نبراس الطلبة التابعة لجامعة الزهراء- فانور، كيرالا، وهذا طبع يشبه طبع الكتب الخليجية ومرتب ترتيبا منطوقيا، ويرد نص القرآن الكريم أولا ويليه متن تفسير الجلالين ويليه تفسير السيد إسماعيل شهاب الدين، ألف هذا الكتاب العظيم تعليقا على تفسير الجلالين الذي لا يزال يدرس في المعاهد الإسلامية في داخل كيرالا وخارجها ربما لم يسبقه أحد من أبناء كيرالا إلى التأليف في هذا الفن في اللغة العربية.

وقد وضح المؤلف في مقدمة هذا الكتاب سبب تأليفه حيث قال: "وكننت خلال إملاني تفسير كلامه تعالى عز شأنه يواجهنني طلب بعض محبي العلم والحاحهم: بأن أولف ذلك ككتاب مستقل في التفسير: ولما لم أجد بدا من إسعافهم تمشيت قليلا، ومن طرف آخر يثبطني عن الأقدام في هذا الشأن، إذ رأيت أن كتب التفاسير لقد كثرت حتى وصلت إلى اللاتهنانية بين مجلدات ضخمة ومختصرات موجزة في شتى أنواع علوم القرآن، ولا يرجع إليها أحد إلا من وفق ولا يستندها أحد إلا من له عناية من الله تعالى"^(٢). ثم يقول عن أهمية اختيار تفسير الجلالين: "ولقد وجدت: "تفسير الجلالين" من أئمة الهداة والأعلام المتقنة في العلوم الإسلامية، وقد حظي بوافر حظ لم يكن لتفسير آخر مثله موهبة إلهية يتحلى بها من اختاره من عباده ولنجدن أنه تلقى ذلك التفسير أجل تفسير مختصر ألف في تفسير القرآن، وأن رواد العلوم من سكان الأرض يكبون عليه قديما وحديثا بلا ميالات بالهجومات التي يشن عليه الناقدون حتى صار مرجع فحول العلماء ونبغانهم، ولكن لا يستأهل لمراجعتة أحد، ولا لتعلمه إلا من عند عالم له باع طويل في هذا المجال"^(٣).

١ معهد ديني في فانور في مقاطعة كنور، أولا كانت مدرسة دينية ابتدائية ثم حولها إلى ثانوية ثم إلى جامعة تعرف بجامعة الزهراء
٢ مقدمة على هامش التفسير ص: ز
٣ المقدمة المذكورة ص: ز

ثم يقول عن منهجه الذي اختاره لتصنيف هذا الكتاب العظيم: "لذا لفت نظري الي أن أربط هذا التفسير بتفسيرهما؛ كأنه تعليقات على هامشه خاصة، وعلى سائر التفاسير على وجه العموم- كما أن اسمه "على هامش التفاسير" رجاء من الله تعالى: أن أتشرف بالتعلق بأذيالهما، والتبرك بمسلكهما، وأن ينتفع بهذا التفسير للدراسات العليا خلال مراجعة تفسيرهما؛ فجعلت بعض ما أملتته أربط بتفسيرهما في موضع تناسبه". وفي هذه المقدمة يندر القراء والمجتمع الإسلامي عن الإسرائيليات والأكاذيب المختلطة في التفاسير، حيث يقول: "إن من الأسف تدخل مقالات واهية، بل إسرائيلية يشوه وجه الإسلام السمحة البيضاء ويهيء الفرصة لهجوم أعداء الإسلام على صاحب الشريعة"، وعلى ما جاء به ويسرد مثلاً قصة تعلق النبي (ص) بزینب وقت رنيته إياها، وقصة الغرئوق، وينكر على هذا أشد الإنكار ويهاجم على هذه الإفتراءات والأكذوبات مراعيًا التأدب مع المفسرين الأعلام الذين حكوا هذه القصص الواهية.

ويقول في مقدمة تفسيره مبينا أهمية تأليف جديد في علم التفسير: "والتفاسير؛ وإن كثرت؛ لا يفي بمحتويات إشارات كلامه تعالى؛ كما أنه بحر زاخر تتلاطم أمواج درره، ومكامن سره يلج بالطلب؛ أخلاقيا، وماديا، واكتشافيا؛ وعلميا واقتصاديا، ولا يختبئ وراء مغارات الظلام، ولتجدن فيه لأي متمنيات، ومتطلبات فرجا ومخرجا؛ ولكن من الفواحش: التدخلات اللامعقولية بسبب التفسير بالرأي من ناحية، والأحاديث الواهية، والموضوعات اللاإسلامية من ناحية أخرى، فحق محتوم على كل طالب علم اكتشاف الحقائق، والنظن لهذا الأمر المخاطر؛ قبل الأخذ والقول به. ويوضح أن كثيرا من العلماء العصريين تصدوا لتفسير كلام الله تعالى فمنهم من اقتصد، ومنهم من تأدب وورع وسلك مسلك الأسلاف؛ ومنهم من حبيب إليه التجديد؛ تقربا للماديين؛ إتيان كل شئ من جديد، ليستشرف الناس إلى كلامه في تفسيره، وحمل- بسخرية واستهزاء وبما يستهجن التصريح به- على العلماء النابغين من الأئمة العظام: حملة شعواء، كأن وحيا يأتيه ويتساءل المؤلف رحمه الله منكر هل هو إلا عبث بكتاب الله تعالى ثرثرة الصرار في غبش الليل! يبتغي تأويله بما زينت له نفسه الصفراوية المريضة؟ لتمتد به أيدي الرضى والإبتسام من الفكرة الماسونية، والإستعمارية أعداء الإسلام؟ وهل هو إلا نطح البعوض جبلا عاتيا ليرجع مدميا خرطومه!(١)

وقد استند في اختيار نسخة "تفسير الجلالين" على "قرة العين" على "تفسير الجلالين" لأن صاحبه ادعى: إن النص الذي حققه يعتبر أصح ما يمكن أن يتوصل إليه التحقيق، وأنه باستطاعته أن يصحح جميع الطباعات الأخرى بناء عليه. وقد وضع المؤلف كلام الله تعالى في أعلى الصفحة، وتفسير الجلالين بخط فاصل، وتحت التعليقات. ويبين المؤلف أن الهدف الأصيل في إملاء هذا التفسير كان إثارة النهضة الفكرية - فكرة الإسلام - التجوال في علوم القرآن، والحديث تحت أضوائهما؛ لا كيفما أتفق، لا بالفكرة المنحرفة، والعقلية العقلانية، بل أمة وسطا يهدي الى سبيل الرشاد المنهج القويم؛ حتى يكون منهلا يرد تلقاء ماء مدين مآرب. ويقول عن الجيل المستقبل: "ولفت نظر النشأ الجديد: الجيل المستقبل، الرصيد المنتظر الى كتاب الله وسنة نبيه، بعقلية إسلامية صحيحة، حتى يتاح لهم تقييم الكلام والمباحث على أحدث وجه، وأسلم طريق". ومن أهم المراجع التي اعتمد عليه المؤلف تفسير ابن كثير، وتفسير "روح المعاني"، و"أضواء القرآن" للشطنطي، و"أساس التفاسير"، و"في ظلال القرآن"، وغيرها. ينقل من عباراتهم حيناً خلال السطور كلام في الموضوع بغير ذكر المراجع لأن الأكثر من املاءاته كانت من ذكرته، فيفقد شيئا حيناً ويضم مكانه حيناً آخر. ويجدر بنا الإشارة إلى أن مقتطفاته من ظلال القرآن كانت كثيرة. أما التفسير "على هامش التفاسير" الذي نحن في صده الآن، فهو يتوقف على إبراز الجمال البياني الذي يتمثل في نظم الآيات وإدراك وجوه التناسق بين الألفاظ والكلمات.

وفي الجملة إن لكتاب على هامش التفاسير مميزات كثيرة تؤهله أن يحتل مكانة مرموقة بين أوساط الكتب المؤلفة في تفسير القرآن الكريم قديما وحديثا، وأن مؤلفه قدم كل سورة بمقدمة يبين فيها عن فضائل تلك السورة ووجوه تسميتها واستند لبيانها على أحاديث رواها أئمة الحديث، مع إلقاء الضوء عن جوانبها يقارن بين السورتين، يثبت التناسق بهذه السورتين. وحاول لسرد وجوه الإعجاز القرآني بإثبات التوافق والتطابق بين حقائق القرآن الكريم القطعية النهائية وحقائق العلم القطعية اليقينية. ويحلل بهذا الصدد كثيرا من القضايا العلمية. وحوى في تفسيره كثيرا من العلوم النافعة حتى نظن أنه موسوعة. وفي بداية كل سورة يشير إلى جميع نواحي المعلومات والمسائل المذكورة فيها ملخصا، ويبين العلاقة الوطيدة بينها وبين السور التي قبلها وبعدها ثم يشرع في التفسير، وهذه العلاقة هي معجزة باهرة للقرآن، ونسرد هنا بعض النماذج من "على هامش التفاسير":

﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾

(البقرة: ١٩)

متن تفسير الجلالين:-

(أو) مثلهم (كصيب) أي كأصحاب مطر (٢)، وأصله "صيوب" من "صاب" "يصوب" أي ينزل (من السماء) السحاب (فيه) أي: السحاب (ظلمات) متكاثفة (ورعد) هو الملك المؤكل به، وقيل: صوته (وبرق) لمعان صوته (٣) الذي يزرجه به (يجعلون) أي: أصحاب الصيت (أصابعهم) أي: أناملها (في آذانهم من) أجل (الصواعق) شدة صوت الرعد لنلا يسمعوها (حذر) خوف (الموت) من سماعها.

على هامش التفاسير:-

(٢) أحوالهم المظلمة تحت مظلة ظلام الكفر، والنفاق: حال من نزل عليه "صيب" من "السماء" في ظلمة الليل، واضف إليه ظلمة المطر، وظلمة السحاب، مشهد رعب، ومفزع! إذ لا يبصر، ولا يهتدي مع كونه قوام الحياة، والمعاش، ونافعا للجميع (١).

الكلام في الرعد:

(٣) وقال بعضهم: أن الرعد اصطدام بعض السحب ببعض، فيخرج وقتئذ صوت هائل، وخروج النار وقته، هو: البرق. وفيه: أنه إنما يصح إذا كانت السحب صلبة، وليس كذلك، إذ هي أبخرة، مرتفعة ملطفة، كالدخان، حتى إن نحو طائرة يعبرها بلا كلفة، فلا يتصور هناك اصطدام.

وبعضهم ادعى: بأنه صوت ملك يزرها بقضيب من النار! كما ورد به حديث. وزيفها بعضهم، ودفعها بسخرية الى سلة النفايات، واللامعقوليات، لعدة ذلك مما لا يلتفت إليه، كأنه اطلع على أسرار الكون! ومقتضيات الطبيعة!.

والعصر الحديث يزعم: أن هناك قوة كهربائية، وأنها سيال يتحملها المعادن ونحوها، وما فيه رطب، ويسمى "موجبا" ولا بد هناك من موصل، ويسمى "سالبا" فباجتماع هذين السلكين، واحتكاك البعض ببعضي "لمبة" أو: غيرها يكون مكهربا، ولا يتحمل مثل الأشجار الجافة، والهواء، وغير معادن (٢).

١ على هامش التفاسير، ج ١ / ص: ٦٥

٢ لمزيد من المعلومات أنظر على هامش التفاسير، ج: ١ / ص: ٦٦